# أفعال التعبد في القرآن الكريم
# سورة الفاتحة نموذجا

# Worship Acts in the Holy Quran
# Al Fatihah as an Example

**د. عائشة هديم[1]**

**جامعة بومرداس**

**aichahadim2020@gmail.com**

**تاريخ الوصول 2020/06/22 القبول 2021/08/11 النشر على الخط 2022/01/15**
**Received 22/06/2020 Accepted 11/08/2021 Published online 15/01/2022**

## ملخص :

يندرج هذا البحث ضمن جملة البحوث التي تكتسي أهمية بالغة في مجالين حيويين من مجالات الدراسة في العلوم الإنسانية وهي : الدراسات القرآنية من جهة والدراسات التداولية عموما ونظرية أفعال الكلام خصوصا ، حيث تستند دراستنا لأفعال التعبد في سورة الفاتحة لنظرية هي من أهم النظريات في فلسفة اللغة والتداولية على حد سواء مستثمرين مبدأها الرئيس وهو أن القول هو في ذات الوقت فعل. حيث نطرح الإشكالية التالية : كيف تتجسد أفعال التعبد في سورة الفاتحة بوصفها أفعالا كلامية تداولية؟

إن الهدف من وراء هذه الدراسة هو أن نثبت أن الأقوال التعبدية في سورة الفاتحة ليست مجرد أقوال بل هي أفعال تتمتع بتداولية عالية ، وهي أفعال نوعية جامعة كما أثبتنا ذلك في نتائج البحث .

**الكلمات المفتاحية :** أفعال التعبد ، أفعال الكلام ، تداولية ، سورة الفاتحة ، الدراسات القرآنية.

## Abstract:

This research on the acts of worship in Al-Fatihah Chapter is extremely important in two vital fields of study in humanities, namely: the Quranic studies on the one hand, and pragmatics, particularly the speech acts theory, in the other. Our study is based on one of the most essential principle of the Language philosophy and Pragmatics theories alike, i.e., an utterance is an act at the same time. Our research problem is how are the acts of worship in Al-Fatihah Chapter embedded as pragmatic illocutionary acts?

This study aims at demonstrating that the acts of worship in Al-Fatihah are not mere words but rather highly pragmatic acts, and are comprehensive qualitative acts as revealed in the results.

Key words: acts of worship, speech acts, pragmatics, Al-Fatihah Chapter, Quranic studies.

[1]– المؤلف المرسل: عائشة هديم البريد الإلكتروني: **aichahadim2020@gmail.com**

## 1-مقدمة:

يشتغل هذا المقال على سورة الفاتحة ، هادفا إلى استجلاء أفعالها الكلامية من حيث طبيعتها وحركيتها وقصديتها ، وتداوليتها. مستوعبا لها في لفظ جامع هو : **أفعال التعبد**، ونقصد بأفعال التعبد : البسملة ، والتحميد ، والحجاج بالصفات ، والإحالة على الذات الإلهية ، وعلى الذات العابدة ، والاستعانة ، وطلب الهداية.

وذلك بالاستعانة بمقولات نظرية أفعال الكلام التي أسسها فيلسوف اللغة اللامع : " جون أوستن" ووسعها طالبه الذي لا يقل ألمعية عنه : " جون سيرل" . على أن نشفع هذه المقولات النظرية ذات النزوع الفلسفي اللغوي في أصلها ، والامتداد والعمق التداولي ، بتحقيقات مفسرين ألمعيين ومتنورين بحق وهما كل من : " الطاهر ابن عاشور " ، و " محمد رشيد رضا".

## 2. بعض الاعتبارات النظرية بين التبني والمراجعة:

من أقوى الاعتبارات النظرية التي أتبناها من مجمل: نظرية أفعال الكلام، والتي تتوافق بقوة مع الخطاب القرآني –لا سيما في المدونة المدروسة –:

1/ اعتبار الأفعال اللغوية – كما صرح بذلك "جون. سيرل" في كتابه: "الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة": **الوحدات الأساسية للتواصل اللغوي**[1].

2/ اعتبار النظرية اللغوية جزءا من نظرية الفعل[2].

ومن الاعتبارات النظرية التي راجعها:"شكري المبخوت" في كتابه: "دائرة الأعمال اللغوية" والتي أتبناها بقوة:

1/ التأثير بالقول جزء من تكوين بنية الفعل اللغوي، وليس متروكا لرد فعل المخاطب، بما أنه من الضروري التمييز بين القصدية النظامية للفعل اللغوي وتحققها المقامي.

2/ قيام الأفعال الثلاثة (فعل القول والفعل المتضمن في القول، وفعل التأثير بالقول) على مبدأ الإدماج، واعتبارها وجوها متكاملة من الفعل اللغوي[3].

وضع "أوستين" تقسيما ثلاثيا للفعل، يقوم على أفعال ثلاثة هي: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول.(بعد الصعوبة التي واجهها "أوستين" في وضع لائحة للإنشائيات الصريحة، والتمييز بين التلفظات الإنشائية، والتلفظات الوصفية، طرح المسألة من منطلق آخر وصاغها في الإشكالية التالية: كم هي المعاني التي يكون بموجبها قول شيء هو فعل شيء؟ وهنا يجيب "أوستن" مصرحا بأن قول شيء هو فعل شيء: أي إنتاج أصوات، كلمات تندرج ضمن تركيب، ومزودة بدلالة (و تشمل الدلالة هنا – كما يقول بها فلاسفة اللغة: المعنى والإحالة)، ويسمي "أوستن" **فعل" قول شيء"** بالمعنى التام للفظ: **إنجاز فعل قول « Exécution d'un acte locutoire»** ، ثم يضيف فعلا آخر وهو: **"الفعل المتضمن في القول**:

---

[1] – جون ر. سورل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ترجمة: أميرة غنيم، مراجعة: محمد الشيباني ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط01 ، 2015، ص39.

[2] – اعتبر "سيرل" أن تكلم لسان هو الانخراط في شكل من أشكال السلوك محكوم بقواعد. جون ر. سورل، الأعمال اللغوية، ص47.

[3] – شكري المبخوت ، دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط01، 2010 ، ص14.

وهو الفعل الذي ننجز بموجبه شيئا **ونحن نقول شيئا ، مقابل فعل هو قول شيء ACTE ILLOCUTOIRE**، **هذا الفعل يرتبط بنظرية يطلق عليها "أوستن" نظرية:"القيم غير القولية"** التي تدرس الوظائف اللسانية المختلفة"، أما الفعل الثالث فهو: **الفعل الناتج عن القولACTE PERLOCUTOIRE**، ذلك أن قول شيء يثير في أغلب الأحيان بعض الآثار على الأحاسيس، والأفكار و أفعال المخاطب أو المتكلم، أو أشخاص آخرين. وقد اعتبر " أوستن" أن الفعل الناتج عن القول لا يحيل –إلا بصورة غير مباشرة– لفعل القول، **أو الفعل المتضمن في القول، وقد لا يحيل إليهما إطلاقا** ، على خلاف "أوستن " ذهب "المبخوت" إلى فرضية الإدماج بين الأفعال الثلاثة، حيث دمجها واعتبرها وجوها متكاملة من الفعل اللغوي[1].

## 3. التوسيع:

عرفت نظرية أفعال الكلام توسيعا واضحا في كنف نظريات أخرى، مثل: نظرية الحجاج في اللغة لديكرو، حيث اعتبر"ديكرو" أن **الحجاج** إنجاز لعملين هما: **عمل التصريح بالحجة** من ناحية، و**عمل الاستنتاج** من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحا بها أو مفهومة[2].

## 4. اعتبارات المقاربة:

تسعى هذه المقاربة إلى إثبات الدعاوى التالية:

**–تشكل** البسملة، والتحميد، والحجاج بالصفات لإنشاء الحمد، والإحالة على الذات الإلهية و الذات العابدة، والتصريح بالعبادة والاستعانة، وطلب الهداية **أفعالا قولية ومتضمنة في القول**، هي قوام **الفعل التعبدي** في سورة الفاتحة.

– تعتبر البسملة والتحميد فعلين قوليين، يمكن أن نعتبرهما: "**نوعيين جامعين شاملين**، حيث يحكمان تأدية أي فعل في أي مقام تعبدي: (الصلاة، تلاوة القرآن)، أو مقام دنيوي يومي: (الأكل، الشروع في أي عمل مهما كان بسيطا).

– تنتظم الأفعال المذكورة في النقطة الأولى وفق نسق لغوي نصي عالي الملاءمة، يحين أنساقا مقامية حقيقية فعلية (في الأفعال التعبدية)، بحيث يمكن أن نتحدث عن **نسق للأفعال**.

– توقع هذه الأفعال **تأثيرات واضحة، بحيث يصعب الفصل بين فعل القول نفسه وفعل التأثير بالقول**، لأن فعل القول نفسه: مثل التصريح بالعبادة والحمد إقرار للعابد بناء على اعتقاد، مرفق بسلوك (كما في الصلاة).

– الأفعال المتضمنة في القول مرتبطة بسياقات واسعة، ومتكررة، تكتسب **قوى إنجازية** مرتبطة بعوامل ذهنية نفسية: مثل الاعتقاد، الخشوع.

---

[1] – ينظر J .L.AUSTIN ,Quand dire c'est faire, How to do things with words, introduction, traduction, et commentaire, Giles Lane, Editions du Seuil,1970, p109,113,114 ، و شكري المبخوت دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2010 ، ط01، ص14.

[2] – عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة – تونس، ج01، ص36.

– لا تشتغل **الإحالة** إلى الذات الإلهية وفق وظيفة: **التعيين** المناطة بها، فالذات الإلهية لا تشملها جهات المخاطب والغائب، ولكن تشتغل الإحالة ذهنيا، وأسلوب الالتفات يوضح هذا الاشتغال.

– رسم النص القرآني خطوط نظرية جامعة للفعل التعبدي، حيث لقنت الذات العابدة **سننا** تتبعها في كل سلوكاتها وأفعالها.

هذه الدعاوى ستكون محور اشتغالنا في هذا المقال.

## 1.4.فعل البسملة:

نبدأ اشتغالنا بالحديث عن البسملة.

نبين **أولا** أن **البسملة فعل قول**، وليست قولا فحسب، وهي **ثانيا**: **فعل شامل نوعي جامع**، باعتبارها **فعلا افتتاحيا** للأفعال كلها. ولبيان هاتين النقطتين، سنقف عند معنى البسملة في القرآن.

**–خواص البسملة:**

**أ/فعل قول جامع**: لأن جميع الأفعال **تفتتح** بها.

**ب/ فعل نوعي**: لأنه افتتاح لنوع بعينه من الأعمال: **الأعمال الصالحة**.

**ج/ فعل قول** وهو فعل على فعل، لأنه **فعل تصريح بإنجاز الفعل**.

**د/ فعل قصدي**.

**هـ/فعل تداولي**: لأنه يدور على الألسن في مقامات تعبدية خالصة: الصلاة، و تلاوة القرآن، ومقامات تعبدية دنيوية: الأكل، العمل...

لنضيء الآن النقاط السابقة:

**أ / البسملة فعل قول جامع**: لأن جميع الأفعال تفتتح به.

يقول "محمد رشيد رضا" : "...القرآن إمامنا وقدوتنا، **فافتتاحه** بهذه الكلمة إرشاد لنا بأن **نفتتح أعمالنا بها** "[1].

ب/**فعل نوعي**: **سن ليبتدأ** به نوع من الأعمال هي **الأعمال الصالحة**.

يقول "ابن عاشور": "واعلم أن متعلق المجرور في **بسم الله** محذوف تقديره هنا: أقرأ، وسبب حذف متعلق المجرور أن **البسملة سنت عند ابتداء الأعمال الصالحة**، فحذف متعلق المجرور فيها حذفا ملتزما إيجازا اعتمادا على القرينة"[2].

**ج/ البسملة فعل على فعل لأنه فعل تصريح بإنجاز الفعل:**

يشرح "رشيد رضا" هذه الفكرة بالاعتماد على الاستعمال العربي، حيث يقرر أن هذا التعبير كان مألوفا عند جميع الأمم ومنهم العرب، وأن الواحد منهم إذا أراد فعل أمر لأجل أمير أو عظيم بحيث يكون متجردا من نسبته إليه يقول: أعمله **باسم فلان ويذكر**

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1993، ج01، ص39.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ج01، ص146.

**اسم ذلك الأمير**، ومن **ثم يكون المعنى الحرفي للعبارة هو: أنني أعمله (العمل) بأمره (بأمر الله) وله لا لي**، أي أن **البسملة: تصريح المتكلم بأنه ينجز عملا لله لا لنفسه**[1].

أما "ابن عاشور" فيربط البسملة بالبركة (التي ينفيها "محمد رشيد رضا")، ويقدر أن الفعل فعل قراءة أو تصريح بفعل القراءة ملابسا لبركة اسم الله. فيؤول "**بسم الله**" إلى: **أقرأ قراءة ملابسة لبركة هذا الاسم المبارك**[2].

**د/ فعل قصدي:**

يتمتع هذا الفعل **بقصدية عالية**، فعلى المعنيين اللذين حملهما عليه كل من "رشيد رضا"، و"ابن عاشور"، يرشح فعل **البسملة** لقصدية عالية، تناط بها نجاح الأفعال الصالحة[3].

هذه **القصدية** –حسب قراءة "رشيد رضا "– هي **إنشاء القدرة على الفعل**، بحيث يكون القصد من هذه العبارة هو أن يؤتي الله عبده القدرة على إنجاز الأفعال[4]. وعلى قراءة "ابن عاشور" يكون القصد استهلال الأعمال **ملابسة ومؤيدة ببركة الله**.

**هـ/ فعل تداولي:**

صيغ فعل **البسملة** من عبارة: **بسم الله الرحمن الرحيم** على طريقة النحت –كما وضح ابن عاشور– لتنطق اختصارا، و لكثرة **دورانها على الألسنة، فالبسملة فعل قول** تفتتح به الأفعال التعبدية الخالصة: الصلاة، تلاوة القرآن، والأفعال التعبدية الدنيوية: الأكل، الشرب، فعل أي شيء.

## 2.4. الفعل 02: فعل قول التحميد(الحمد لله) وخواصه:

**أ/ فعل جامع ونوعي و افتتاحي:** يتصف فعل التحميد مثله مثل فعل البسملة بكونه: **فعلا جامعا ونوعيا وافتتاحيا**، حيث **تفتتح** به **الأعمال الهامة**. يقول "ابن عاشور": "فيها– أي: "عبارة : **"الحمد لله"– إرشاد** إلى تقدير النعمة حق قدرها بشكر المنعم بها، فأراهم كيف يتوجون مناجاتهم بحمد الله واهب العقل، ومانح التوفيق ولذلك كان **افتتاح** كل كلام **مهم بالتحميد سنة الكتاب المجيد"**[5].

---

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج01، ص43.

[2] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01، ص150.

[3] – يعتبر **القصد** مبحثا رئيسا في فلسفة اللغة، حيث شغل فلاسفة اللغة بكيفية الوصول إلى المعنى، وكيفية الوصول إلى المعنى المقصود بالتحديد. يقول "سيرل" في بداية الفصل الأول لكتابه: "الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة":"كيف ترتبط الكلمات بالعالم؟ وكيف يمكن، إذا واجه متكلم ما سامعا وأصدر مقطعا صوتيا، أن تحدث أمور على قدر طرافة ما يلي: المتكلم **يعني** أمرا ما، الأصوات التي أصدرها **تعني** شيئا ما، والسامع يفهم **المعني**.....، كيف يتسنى مثلا إذا قلت: "حمزة رجع إلى البيت" وليس هذا القول في نهاية المطاف سوى سلسلسلة من الأصوات أن يكون ما **أعنيه** هو: "حمزة رجع إلى البيت". ما الفرق بين أن نقول شيئا ونحن **نعني** ما نقول وأن نقول نفس ذلك الشيء دون أن **نعنيه**؟....تشكل هذه الأسئلة ومثيلاتها الموضوع المحوري لفلسفة اللغة". جون ر. سورل، الأعمال اللغوية، مرجع سابق، ص17– 18. لنلحظ معا كم تتكرر مادة: "(ع.ن.ى) بكل صيغها : **يعني، تعني،المعني، أعنيه، نعني، نعنيه**. وهذا يؤكد أهمية هذا الموضوع عند فلاسفة اللغة.

[4] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج01، ص43–44.

[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01، ص152، 154.

**ب/ فعل قول إنشائي:**

يتفق "رشيد رضا" و"ابن عاشور"على اعتبار "الحمد لله" عبارة ذات **صيغة خبرية**، ولكن القصد منها هو **الإنشاء: إنشاء الحمد**، إذ يقول "محمد رشيد رضا": "والحق الذي لا محيد عنه أن **الحمد لله خبر مستعمل فيالإنشاء، فالقصد هو الإنشائية لا محالة**"[1].

ويشرح "رشيد رضا" وجه الإنشائية في العبارة بربطها بالذات العابدة الحامدة، بحيث تنشئ الحمد بهذه العبارة. يقول: "وأما **الإنشائية** فهو أن **الحامد** جعلها عبارة عما وجهه من **الثناء** إلى الله تعالى في **الحال**"[2].

## 3.4. الفعل 03: الحجاج بالصفات لإنشاء الحمد: فعل متضمن في القول

عد "ديكرو" **الحجاج فعلا** لا يختلف عن الأفعال الأخرى. وقد تجسد فعل الحجاج في النص من خلال **الحجاج بالصفات** المتعلقة بفعل التحميد، بحيث تقتضي الصفة السابقة الصفة اللاحقة.

**أ/ الصفة 01: رب العالمين:**

إن قوله تعالى على لسان العابد –بعد عبارة: **"الحمد لله"** مباشرة-:"**رب العالمين**"، "**الرحمن الرحيم**"، "**مالك يوم الدين**": **حجاج بالصفات**"، فالعابد الحامد لله تعالى لم ينشأ الحمد جزافا، بل لاستحقاق ذاته العلية لهذا الحمد، لذلك أعقب فعل الحمد بوصفه تعالى ب **"رب العالمين"**، فقد بينت العبارة وجه الثناء المطلق.

يقول "محمد رشيد رضا": "يشعر هذا الوصف **ببيان وجه الثناء المطلق**[3]، فلفظ " الرب" يحيل على السيادة والتربية والسياسة والتدبير، ولفظ العالمين يشمل الكائنات كلها، فيكون حاصل معنى: "رب العالمين": السيد المربي الذي يسوس مسوده ويربيه ويدبره، وهو رب الكائنات كلها[4]، لذلك استحق الحمد، فصفة: "رب العالمين" أول صفة توقع الحجاج لإنشاء العبد للحمد.

**ب/الصفة 02: الرحمن الرحيم**

ثم إن تربيته تعالى للعالمين ليست لحاجة به إليهم، كجلب منفعة أو دفع مضرة، وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه[5].

إن صفة: "**الرحمن الرحيم**" **تعزز الحجاج بالصفات**، حيث تضاف لصفة:"رب العالمين" لزيادة قوة الاقتناع لدى العابد لإنشاء الحمد، وبخاصة إذا أدرك هذا العابد أن تربية الله إياه، إنما هي لصالحه ونفعه، لا لصالح المعبود، فالله غني عن عبادة العباد له، وإنما العبادة رحمة بالعابد.

وقد أحسن "ابن عاشور" شرح فكرة الحجاج، من خلال فكرة:"**الاستحقاق**"، فجوهر الحجاج بالصفات" هنا، حصول الاقتناع القلبي والعقلي لدى العابد **باستحقاق الله للعبادة** لاتصافه بجملة من الصفات المتفردة والمتعلقة بذاته فقط.

---

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج01، ص49.

[2] – نفسه، ص49.

[3] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، ص50.

[4] – نفسه، ص50.

[5] – نفسه، ص51.

وقد قسم "ابن عاشور" هذا الاستحقاق إلى نوعين: **الاستحقاق الذاتي، والاستحقاق الوصفي**. أما **الاستحقاق الذاتي**: فيتجلى في إسناد الحمد لاسمه بعبارة: الحمد لله، وأما **الاستحقاق الوصفي**: **فيتجلى في الوصف بالرب، ثم "الرحمن الرحيم"، ثم "مالك يوم الدين"**.

يقول "ابن عاشور" في شرح هذه الفكرة: "بعد إسناد الحمد لاسم ذاته تعالى، تنبيها على الاستحقاق الذاتي، عقب بالوصف وهو الرب ليكون الحمد متعلقا به أيضا...ليؤذن باستحقاقه الوصفي أيضا للحمد كما استحقه بذاته. وقد أجرى عليه أربعة أوصاف هي: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين للإيذان بالاستحقاق الوصفي"[1].

ومن ثم فإجراء هذه الصفات الجليلة بمثابة تعليل، يبين أنه تعالى حقيق بالحمد الكامل الذي أعربت عنه جملة: "الحمد لله"[2].

**ج/فعل الإحالة جزء من فعل قول التحميد:**

إذا كانت الإحالة إلى العابد الحامد واضحة في كل الأفعال، بحيث تخضع لمبدأ التعيين، فإن الإحالة للذات الإلهية(على سبيل المثال في فعل التحميد، والتصريح بالعبادة والاستعانة) لا تخضع لمبدأ التعيين، ولكن الإحالة **تشتغل ذهنيا وقلبيا**، ويتجسد هذا الاشتغال من خلال أسلوب **الالتفات** من الغائب في قوله: "الحمد لله" إلى المخاطب في قوله:"إياك نعبد وإياك نستعين".

يقول "ابن عاشور" في شرح **أسلوب الالتفات** هنا: "وهاهنا التفات بديع، فإن **الحامد** لما حمد الله تعالى ووصفه بعظيم الصفات بلغت به **الفكرة** منتهاها، فتخيل نفسه في **حضرة الربوبية فخاطب ربه بالإقبال**"[3].

إن قصارى ما يفعله العابد الحامد هو **استحضار الذات الإلهية**. إنه لا يعينها في مكان وزمان بل يستحضرها ذهنيا وقلبيا، فلا يعتمد هنا على الحواس، ولكن على الذهن والقلب، لأنه يستدعي الاعتقاد والخشوع —كما في الصلاة–.

وفعل **الإحالة فعل رئيس** في النص القرآني، حيث يشتغل بقوة وفق مبدأ توصيف الذات الإلهية الغيبية، وهذا المبدأ هو الذي يمكن فعل **الاستحضار** لا فعل **التعيين**.

**د/ إياك نعبد وإياك نستعين: التصريح بالعبادة والاستعانة:**

يحتوي هذا التصريح بالعبادة والاستعانة **فعلا متضمنا فيه**، وهو — حسب "ابن عاشور"–: **التمجيد** الذي يقوم على إظهار الإخلاص بعد الإفصاح عن حق الله في التحميد، فمجيء **التمجيد** بعد **التحميد** ليس اعتباطيا، ثم إن التمجيد الذي يلي التحميد مسبوق بالمخاطبة، وهذا الترتيب يرجع إلى الاستعمال العربي.

يقول "ابن عاشور": "ومفاتحة العظماء **بالتمجيد** عند التوجه إليهم قبل أن يخاطبوا **طريقة عربي**"[4].

**هـ/العبادة والاستعانة: مركب فعلي ونوعي متسق:**

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01، ص 166.
[2] – نفسه، ص 177.
[3] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01، ص 179.
[4] – نفسه ، ص 177.

وجه فعل البسملة إلى نوع من الأعمال وهي الأعمال الصالحة، ووجه فعل التحميد إلى الأفعال الهامة، وكذلك فعل الاستعانة، ففعل الاستعانة الذي لا يمكن فصله عن العبادة مراد للأفعال المهمة التي أعلاها تلقي الدين، وكل ما يعسر على المرء تذليله[1].

**و/ فعل تداولي:**

إن فعل التصريح بالعبادة والاستعانة الذي يعضد أفعال التحميد، فعل **تداولي**، لأن ضمير النون –كما انتبه إلى ذلك "ابن عاشور" في قوله: "نعبد"، وقوله: "نستعين" يمحض الكلام **لضمير المتكلم المشارك**، دلالة على أن **المحامد صادرة عن جماعات**[2]. فأفعال **التحميد والتمجيد تتداول بين الألسنة** في **سياقات تشاركية، ومتكررة، ومفتوحة، وواسعة** تكتسب في كل سياق **قوة إنجازية متجددة**.

### 4.4.الفعل الرابع: طلب الهداية: "اهدنا":

الهداية هنا بمعنى الدلالة على الطريق المستقيم، أي جملة العقائد والآداب والأحكام والتعاليم التي توصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة[3].

### 5.4.اتساق الأفعال:

يتجلى من خلال سلسلة الأفعال المذكورة في هذا النص **اتساق واضح لأفعال القول** داخل النص، ضمن الفعل التعبدي بدءا من البسملة إلى التحميد فالتمجيد، وختاما بفعل طلب الهداية. كما أن فعل الحجاج يتسلسل وفق منطق وصفي غير اعتباطي، فلم يكن تتابع الأوصاف تراكميا بل نسقيا، لإيقاع فعل حجاج نوعي.

يعلل "ابن عاشور" إتباع التحميد بالتمجيد بقوله: "إذا أتم الحامد حمد ربه يأخذ في التوجه إليه، بإظهار الإخلاص له انتقالا من الإفصاح عن حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده من إفراده بالعبادة والاستعانة "[4].

ثم إن طلب الهداية بعد التمجيد والتحميد ليس اعتباطيا أيضا. وليشرح "ابن عاشور" هذا الترتيب، يستحضر مقام العابد بين التحميد والتمجيد وصولا إلى طلب الهداية.

يقول "ابن عاشور": "تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى **طلب حظوظهم** الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله ووصفوه **بصفات الجلالة**، ثم أتبعوا ذلك بقولهم: " **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**" الذي هو واسطة جمع بين تمجيد الله وبين إظهار العبودية وهي حظ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب، حتى إذا ظنوا بربهم الإقبال عليهم ورجوا من فضله، أفضوا إلى سؤال حظهم فقالوا: "**اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**" فهو حظ الطالبين خاصة لما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم"[5].

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01 ، ص 184.

[2] – نفسه، ص 186.

[3] – نفسه، ص 187.

[4] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01، ص 177.

[5] – نفسه، ص 187.

ويقول في إتباع:"رب العالمين" ب:"الرحمن الرحيم":"إتباع "رب العالمين" بـ "الرحمن الرحيم" للتنبيه على كمال رفقه تعالى بالمربوبين في سائر أكوانهم، ثم التنبيه بأن تصرفه تعالى في الأكوان والأطوار تصرف رحمة عند المعتبر"[1].

ويقول في إتباع هذه الأوصاف بوصف: " **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**":"....أنه خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخففا عن المكلفين عبء العصيان لما أمروا به، ومثيرا لأطماعهم في العفو...فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية، فلا يخشوا غائلة الإعراض عن التكاليف، لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحكم يوم الجزاء"[2].

## 4. 6 . الفعل التأثيري:

تبنينا في مقالنا هذا رأي "المبخوت" الذي لا يقر الفصل بين فعل التأثير وفعل القول والفعل المتضمن في القول، وهذا المبدأ واضح في النص المدروس. ولنمثل للفكرة بفعل التحميد ووصف الله بالرحمة.

يوجه "رشيد رضا" فعل **التحميد** (الذي يعضد بوصف الله بالربوبية والرحمة) إلى وظيفة **تأثيرية** قوية، حيث ينتج عن التحميد المقرون بوصف الله بالربوبية، حمل الحامد نفسه على تربية نفسه، وتربية أهله، فهو **تأثير سلوكي**، وينتج عن التحميد المقرون بوصف الرحمة حمل الحامد نفسه على أن يكون رحيما في ذاته فهو **تأثير سلوكي** أيضا.

وهذين الأثرين قويين لأنهما ممتدين خارج مقام التعبد الخالص: مثل(الصلاة تلاوة القرآن) إلى التعبد اليومي في الحياة كلها.

يقول "رشيد رضا" في هذين الأثرين: "..وأما حظ العبد من وصف الله بالربوبية، فهو أنه بحمده تعالى عليه، وبشكره له باستعمال نعمه التي تتربى بها القوى الجسدية والعقلية فيما خلقت لأجله، فليحسن تربية نفسه، وتربية من يوكل إليه تربيته من أهل وولد ومريد..وأما حظ العبد من وصف الله بالرحمة، فهو أن يطالب نفسه بأن يكون رحيما بكل من يراه مستحقا للرحمة من خلق الله تعالى حتى الحيوان الأعجم"[3].

## 7.4. من سنن الأفعال: الاستعانة بعد بذل الجهد

وضع فلاسفة اللغة نظرية متكاملة لشروط نجاح الأفعال[4]، وفي النص القرآني خطوط نظرية متكاملة للفعل تجري وفق **سنن** لينجح الفعل. من هذه السنن: **الاستعانة**.

يشرح لنا "رشيد رضا" هذه السنة بقوله: "إن كل عمل يعمله الإنسان تتوقف **ثمرته ونجاحه** على حصول الأسباب التي اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون مؤدية إليه، وانتفاء الموانع التي من شأنها بمقتضى الحكمة أن تحول دونه، وقد مكن الله تعالى الإنسان بما

---

[1] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01، ص 173.

[2] – نفسه ، ص 174.

[3] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ص52– 53.

[4] – وضع سيرل لفعل الوعد شروطا تسعة، فلا يتصف فعل الوعد بالصدق إلا إذا توفرت فيه هذه الشروط، منها: أن يكون العمل الموعود به لصالح المخاطب. يقول سيرل "إن إحدى المميزات الحاسمة التي تتيح تمييز الوعد من الوعيد هي كون الوعد التزاما بعمل شيء لك لا عليك". ينظر. جون سيرل ، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ص105.

أعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب بعض الأسباب، وحجب عنه البعض الآخر، فيجب أن نقوم بما في **استطاعتنا** من ذلك،.....ونفوض الأمر فيما وراء كسبنا إلى القادر على كل شيء.."[1].

## 5. خاتمة :

تناول هذا البحث أفعال التعبد في سورة الفاتحة بالاستناد إلى نظرية أفعال الكلام لأوستن وسيرل ، حيث مهدنا ببعض الاعتبارات التي تبنيناها من النظرية كما راجعها " شكري المبخوت " ثم أتينا إلى استقصاء أهم أفعالها وخواصها التداولية

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج:

1/ جسَّد الفعل التعبدي في سورة الفاتحة مبدأ الانصهار بين القول والفعل.

2/ نهض الفعل التعبدي بوظيفة تداولية تأثيرية قوية.

3/ ارتقى الفعل التعبدي إلى فعل نوعي جامع يطال سياقات متنوعة ومتكررة.

4/ صاغ النص القرآني معالم هامة لشروط نجاح الفعل وملابساته.

نقترح في آخر مقالنا إجراء دراسات معمقة عن الفعل القرآني وبخاصة الفعل التعبدي لما له من أهمية في الدراسات القرآنية والإنسانية على حد سواء.

## 6. قائمة المراجع :

- ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع ( تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع ، د.ت).
- شكري المبخوت ، دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة،2010) ، ط01.
- جون ر. سورل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ترجمة: أميرة غنيم، مراجعة: محمد الشيباني ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة،( تونس: دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة،2015)، ط01.

–عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة ،( تونس: جامعة منوبة، د.ت).

– محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة،( بيروت – لبنان: دار المعرفة 1993).

-J .L.AUSTIN ,Quand dire c'est faire, How to do things with words, introduction, traduction, et commentaire, Giles Lane, Editions du Seuil,(Paris: Editions du Seuil ,1970).

[1] – محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، ص58.